ب — زياد طلب إلى أبي الأسود أن يضع للناس كتابا في العربية حينما سمع : توفي أبانا وترك لنا بنون ؛ بعد أن كان عارضه في ذلك من قبل . أو إنه طلب إليه ذلك حينما رأى الألسنة قد فسدت ، وحين رأى الأعاجم ينتشرون ويتفشى لحنهم الناس . أو إنه طلب منه ذلك حينما رأى أبناءه يلحنون ، وتبين أن الظئر والحشم أفسدوا ألسنتهم .

حـ — أبو الأسود نفسه رأى اللحن يتسرب إلى بيته ، وفي لسان بنته حينما قالت له : ما أجملُ السماء ، أو ما أشدُّ الحر — متعجبة — فبدأ يفكر في وضع علم النحو .

ومهما تعددت هذه الروايات ، ومهما اختلفت — فإن الذي لا شك فيه أن اللحن بدأ يتفشى الألسنة ، بسبب مخالطة الأعاجم ، وبسبب انتقال العرب إلى الحواضر والأمصار ؛ فاستفظع المسلمون الأولون هذا الأمر استفظاعا ، وفزعوا منه ، وفكروا في أن يضعوا شيئا تظل به اللغة سليمة معربة . والشأن في هذا شأن التفكير في كل شيء جديد ؛ فلابد من إقدام وإحجام ، وأخذ ورد ؛ ثم يتغلب الإقدام ، فيسير الناس سيرا طبيعيا متلائما مع طبيعة البيئة والثقافة ، وعلى قدر الحاجة . ولكن الرواة نقلوا إلينا روايات لا يقبلها عقل ولا منطق . إذ كيف يعقل أن أبا الأسود يدخل على عليّ فيراه مطرقا مفكرا ، فيسأله عما يشغله ، فيرد عليه بأن الذي يشغله إنما هو وضع كتاب في العربية ، وكان التأليف